مجلة المجمع العلمي العراقي

العدد الخاص بهيئة اللغة السريانية

المجلد التاسع

بين العربية والسريانية

ـ ٨ ـ

نشوء الاشكال والاعجام في العربية

الطران اندراوس صنّا

(عضو المجمع)

تكلمنا في الحلقة السابقة[١] على نشوء التحريك والتنقيط في السريانية. ونحاول أن نبحث في هذه الحلقة بداية الشكل والاعجام لدى العرب .

أخذ العرب كتابتهم من القلم النبطي أو السرياني أو من كليهما[٢] بين القرنين الرابع والسادس للميلاد . فهل أخذوا أيضاً نظام الحركات والاعجام الذي كان يستعمله السريان آنذاك ؟ .

لم يصلنا من آثار الخط الآرامي النبطي والخط العربي البدائي المنحدر منه الا الكتابات المنقوشة على الحجر[٣] مثل نقوش أم الجمال الاول ٢٥٠ م والنمارة ٣٢٨ م والزبد ٥١٢ م وحران ٥٦٨ م وأم الجمال الثاني أواخر القرن السادس م . ولم يصلنا منها أي أثر مكتوب على الرق أو البردي وغيرهـا . فهل كان للانباط شيء من علامات التحريك والاعجام ولم يتيسر لهم وضعها على النقوش العربية ؟ ليس في يدنا وثائق تثبت ذلك . وبموجب ما لدينا من كتابات نبطية لم يكن للانباط شيء من تلك العلامات . ولا يلاحظ في الكتابات الحجرية العربية البدائية التي عثر عليها في مناطق الانباط الا ما كان لدى الانباط أي الحروف خالية من علامات الشكل والاعجام .

---

(١) مجلة المجمع العلمي العراقي ـ مجلة هيئة اللغة السريانية ، م٨ ، ١٩٨٤ ، ص ٢٩٥ ـ ٣٤٧ .

(٢) مجلة مجمع اللغة السريانية ، م ٤ ، ١٩٧٨ ، ص ٣ ـ ٣٧ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٢ ـ ١٩ .

أما السريان فكان عندهم منذ القرن الرابع الميلادي ، ولعله قبل ذلك التاريخ ، نقط للتحريك ونقطتان لتمييز حرفي الدال والراء المكتوبين في صورة مشتركة واحدة ، نقطة فوق الراء ونقطة تحت الدال[٤] . أما علامات التحريك فأهمها كانت نقطة فوق الحرف للدلالة على الحركات الفوقية أي الفتح الطويل والفتح القصير والواو المفخّمة . ونقطة تحت الحرف للدلالة على الحركات التحتية ، أي الكسر القصير والكسر الطويل الممالين الى الفتح والضم[٥] فهل اقتبس العرب هذه العلامات من السريان حينما كتبوا بخط عربي مستقل عن الخط الآرامي قبيل ظهور الاسلام ؟ يرجح الشيخ احمد رضا هذه النظرية[٦] . الا اننا لم نعثر على أية وثيقة كتابية تحمل علامات الشكل تلك ، لا في رسائل النبي الى حكام الدول المجاورة ، ولا في المصاحف القديمة ، ولا في الكتابات المنقوشة على الحجارة لا قبل الاسلام ولا في القرن الاول الهجري . ونحن نرى ان العرب تأثروا بعلامات التحريك والتنقيط السريانية . اذ ان أول حركات وصلتنا في العربية للشكل كانت تنحو نحو الحركات السريانية مثل نقطة الفتح فوق الحرف ونقطة الكسر تحت الحرف . وكذلك نقط الاعجام وضعت كما في السريانية تحت الحروف أو فرقها .

قبل ان نبحث نشوء علامات الشكل والاعجام في العربية نعطي نبذة قصيرة عن أصوات حركات المدّ العربية :

أ ـ أصوات الحركات أو اصوات المد لدى العرب

تقسم الحروف الى فئتين : الحروف الساكنة ويُطلق عليها اسم الصوامت، وحروف المدّ ويسميها العرب حروف العلة وهي الالف والياء والواو . كلامنا

(٤) مجلة المجمع العلمي العراقي ـ مجلد هيئة اللغة السريانية، م ٨ ؛ ١٩٨٤ ؛ ص ٢٩٧ .
(٥) المرجع السابق ؛ ص ٣٢٦ .
(٦) الشيخ احمد رضا ؛ رسالة الخط ؛ صيدا ، ١٩١٢ ، ص ٢٦ ـ ٢٧ .

هنا على هذه الفئة الاخيرة • فما هي أصوات المدّ في العربية ؟ •

ليس في العربية الآن الا ثلاثة أصوات مدّ وهي الفتح والكسر والضم • وكل منها يكون اما طويلا أو قصيرا •

يدعوها الخليل بن احمد الفراهيدي (ت ١٧٠ هـ)[٧] « الحروف الهوائية » أو « الحروف الجوف » • ويعلل هاتين التسميتين بكونها في الهواء وتخرج من الجوف • ويسميها سيبويه (ت ١٨١ هـ)[٨] « الاصوات اللينة » • ولا يعني بذلك انها ضعيفة بل انها سهلة المخرج • ويسميها أبو الحاتم الرازي (ت ٢٧٧ هـ)[٩] « هوائية » اذ ليس لها جروس ولا اصطكاك ، لانها تنسل من جوف الحنك • ويطلق عليها ابن جني (ت ٣٩٢ هـ)[١٠] اسم « صدى » ، بينما يشير الى أصوات سائر الحروف باسم « جرس » • ويسميها أيضا « حروف العلة »[١١] • ويدعوها أبو محمد مكي القيسي (ت ٤٣٧ هـ)[١٢] أصوات « المدّ واللين » • ويسميها فخرالدين الرازي (ت ٦٠٦ هـ)[١٣] « الحركات المصوتة » ويطلق عليها رضيالدين الاسترابادي (٦٨٦ هـ)[١٤]

---

(٧) ابو منصور الازهري ، تهذيب اللغة ، ج ١ ، ص ٤٨ .

(٨) الكتاب ، ج ٢ ، ص ٢٥٢ ، ٣١٥ ، مصر ١٣١٦ هـ . كتاب العين : ج ١ ، ص ٦٤ تحقيق عبدالله درويش ، بغداد ١٩٦٧ .

(٩) كتاب الزينة في الكلمات العربية الاسلامية ج ١ ، ص ٦٤ ، تحقيق حسين بن فيضالله الهمذاني اليعبري ، مصر ١٩٥٧ .

(١٠) سرّ صناعة الاعراب ، ج ١ ، ص ١٨٠٦ . تحقيق مصطفى السقا ، مصر ١٩٥٤ .

(١١) كتاب الخصائص ج ١ ، ص ٢٣٤ ، ٢ ، ٤٨٤ ، ٣ ، ١٢٩ ، تحقيق محمد علي النجار ، القاهرة ١٩٥٢ .

(١٢) كتاب الرعاية لتجويد القرآن وتحقيق لفظ التلاوة ، ص ١٠١ ، تحقيق احمد حسن فرحات ، دمشق ١٩٧٣ .

(١٣) التفسير الكبير ، ج ١ ، ص ٣٠ — ٣١ .

(١٤) شرح شافية ابن الحاجب ، ج ٣ ، ص ٢٦٠ ، تحقيق محمد نورالحسن .

اسم « الاصوات الخفية » . ولعله يعني بذلك ان الاحتكاك في لفظها يكاد أن يكون معدوماً . ويصفها أيضاً بأنها « مجهورة »[١٥] . ويدعوها شهاب الدين القسطلاني (ت ٨٥١ هـ)[١٦] « الاصوات المجهورة » ، تمتاز بقدرتها على الاستمرار في التصويت .

والآن أي من حركات المدّ مشتق من الآخر ، المدّ الطويل أم المدّ القصير ؟ اختلفت آراء الباحثين في ذلك . يقول الشيخ احمد رضا[١٧] « قال جمهور من الباحثين ان الحركات الثلاث مأخوذة من حروف المدّ واللين ، اعتمادا على المذهب القائل بأن الحروف وضعت قبل الحركات . وذهب بعض النحاة ان حروف المدّ واللين مأخوذة من الحركات الثلاث : فالألف نشأت من اشباع الفتحة والواو من اشباع الضمة والياء من اشباع الكسرة ، واستدلّوا على ذلك بأن العرب قد استغنت في بعض كلامها بهذه الحركات عن هذه الحروف ابتغاءً بالأصل عن الفرع لدلالته عليه ، كاستغنائهم عن الألف في هؤلاء والرحمن . ويرى ابن جني[١٨] ان الحركات الطويلة توابع للحركات القصيرة ومشتقة منها ؛ وان الحركات أوائل لها وأجزاء منها ، وان الألف فتحة مشبعة والياء كسرة مشبعة والواو ضمة مشبعة ، ويرى مكي القيسي[١٩] ان الحركات الطويلة ليست مأخوذة من القصيرة ، ولا الحركات القصيرة متأتية من الطويلة ، اذ لم يسبق أحد الصنفين الآخر . ويرى فخرالدين الرازي[٢٠] ان الحركات القصيرة ابعاض من الحركات الطويلة . وهذا أيضا رأي رضي

(١٥) المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٢٥٩ .
(١٦) لطائف الاشارات لفنون القراءات . ج ١ ، ص ٢٠٤ ــ ٢٠٦ ، تحقيق عامر السيد عثمان والدكتور عبدالصبور شاهين ، القاهرة ١٩٧٢ .
(١٧) رسالة الخط ، ص ٣٦ .
(١٨) سرّ صناعة الاعراب ، ج ١ ، ص ٢٦ .
(١٩) الرعاية . ص ٨١ ــ ٨٣ .
(٢٠) التفسير الكبير ، ج ١ ، ص ٣٠ .

الدين الاسترابادي[٢١] ونحن نتفق بالرأي مع مكي القيسي . فان حركات المدّ الطويلة والقصيرة ولدت مع نطق الانسان . وعندما بدأ الانسان يتكلم ، وبأية لغة كانت ، استعمل أصوات المد الطويلة والقصيرة معاً ، كما يفعل الطفل لدى تعلمه الكلام . فلا أصوات الحركات الطويلة مشتقة من القصيرة ، ولا أصوات الحركات القصيرة مشتقة من الطويلة . الا ان في مخرج الكلام الحركات القصيرة سابقة للطويلة . والحركات الطويلة مكونة من القصيرة ممدّدة . وذلك مثل الخط الهندسي المكوّن من نقط متلاصقة .

ان العرب منذ توحيد اللغة العربية اقتصروا في خطهم على ثلاث حركات المدّ ؛ وهي الفتح والكسر والضم . وكل منها له مدّ طويل ومدّ قصير . فالفتح الطويل هو الالف ؛ والكسر الطويل الياء والضم الطويل الواو . والفتح القصير الفتحة والكسر القصير الكسرة والضم القصير الضمة . الا ان علماء اللغة في العصور الغابرة ذكروا انه كان للعرب حركات أخرى كانت ناتجة عن الامالة والتفخيم والروم والاشمام . قال فخرالدين الرازي[٢٢] : « الحركات اما صريحة أو مختلسة . والصريحة اما مفردة أو غير مفردة . والمفردة ثلاث الفتحة والكسرة والضمة . والغير المفردة ما كان بين بين . وهي ست لكل واحدة قسمان : فللفتحة ما بينها وبين الكسرة ، وما بينها وبين الضمة . وللكسرة ما بينها وبين الضمة وما بينها وبين الفتحة . والضمة على هذا القياس . والمجموع تسع . وهي اما مشبعة أو غير مشبعة ؛ والمجموع ثماني عشرة ؛ والتاسعة عشرة المختلسة كما في « بارئكم » . وقال ابن جني[٢٣] : « ما في أيدي الناس في ظاهر الأمر ثلاث حركات ، وهي الضمة والكسرة والفتحة ؛

(٢١) شرح شافية ابن الحاجب ؛ ج ١ ، ص ٢٢ ؛ ٢ ؛ ص ٢٧٦ .
(٢٢) التفسير الكبير ؛ ج ١ ، ص ٤٦ ــ ٤٨ .
(٢٣) سرّ صناعة الاعراب ، ج ١ ، ص ٥٨ ــ ٦٥ .

ومحصولها في الحقيقة ست • وذلك ان بين كل حركتين حركة • فالتي بين الفتحة والكسرة هي الفتحة قبل الألف الممالة نحو فتحة عين « عالم » وكاف « كاتب » • والتي بين الفتحة والضمة هي التي قبل ألف التفخيم الممالة نحو فتحة لام وكاف وياء « الصلوة » و « الزكوة » و « الحيوة » ، وكذلك في قاد وعاد • والتي بين الكسرة والضمة ككسر القاف في « قيل » والسين في « سيق » فهذه الكسرة مشمة ضمة • وكذلك الضمة تُشَمّ كسرة ، كما في باء « ابن بور » • ولكن ليس في كلامهم ضمة مشرّبة فتحة ولا كسرة مشرّبة « فتحة » • نتكلم باختصار على كل من هذه الحركات الجانبية :

الامالة :

عُرّفت بأنها عدول بالالف عن استوائه ومزجه بعض الشيء بالياء فيصير مخرجه بين مخرج الالف المفخّمة ومخرج الياء[٢٤] • وهي تشمل الالف في حركة المدّ الطويل وتشمل الفتحة في حركة المدّ القصير • فيكون لفظ الطويلة منها كلفظ حرف (é) الفرنسية والقصيرة كلفظ حرف (e) الفرنسية • ومن المرجح ان هذا الصوت كان أقرب الى الألف منه الى الياء • والامالة كانت شائعة في أكثر اللهجات العربية القديمة • الا انها عُزِيت بصورة خاصة الى طائفة اللهجات النجدية من تميم وقيس وأسد مقابل ميل أهل الحجاز الى الفتح تفخيم[٢٥] • الا ان الامالة لم تقتصر على قبائل دون أخرى ؛ فانها كانت شائعة جداً ، حتى ان ابن يعيش قال[٢٦] ان الامالة أكثر كلام العرب • كما ان انتشار الامالة في غير الحالات الاساسية التي ذكرها سيبويه[٢٧] توضح

(٢٤) الدكتور غالب فاضل المطلبي ، في الاصوات اللغوية . ص ١٦٢ .
(٢٥) ابو البقاء بن يعيشب (ت ٦٤٣هـ) ، شرح مفصل الزمخشري ، باعتناء ج . جاهن ، ص ١٢٥٢ ، لايبرج ١٨٧٦ — ١٨٨٦ .
(٢٦) شرح مفصل الزمخشري ، ج ١ ، ص ١٢٦٣ .
(٢٧) كتاب سيبويه ، ج ٢ ، ص ٢٥٩ .

ان الامالة تحتل معظم مكان الالف في نطق اللهجات القديمة ، لدرجة جعلت سيبويه نفسه يرى ان من الصعوبة وضع قوانين صوتيـة محـددة لظاهرة الامالة[٢٨] • ليس بالامكان تحديد تاريخ الامالة بدقة في اللهجات العربية ، الا اننا نستطيع أن نؤكد ان اللغات السامية كلها تقريبا عرفت الامالة ، وماتزال قيد الاستعمال الى اليوم • فيبدو انها ظاهرة عربية قديمة • ويشـير جـان كنتينو[٢٩] الى ان الامالة لوحظت في الاسماء العربية التي كُتبت بحروف يونانية في طائفة من النقوش القديمة • وليس من المستبعد أن يكون رمز الألف المقصورة في خط عربيتنا يشير الى صوت ألف ممالة في بعض الحقب[٣٠] ومن الجدير بالذكر ان الياء عندما لم تكن توصل بما بعدها كانت تخلى من النقط كما سنرى فيما بعد • فيكون اذاً أصل الالف المقصورة ياء • ويذكر الحافظ أبو الخير الدمشـقي ابن الجزري (ت ٨٣٣ هـ)[٣١] ان الحمـزة والكسائي كانا يميلان الكلمات المنتهية بألف مقصورة • وفي طائفة من اللهجات العربية القديمة كانت تُنطق الالف المقصورة في الافعال والاسماء ألفا ممالة ، مثل قضى ورمى وسعى وفتى ورحى[٣٢] • بل وفي بعض اللهجات البائـدة كانت الافعال التي من قبيل بكى وأتى تُكتب برمز الياء ، مما يوحي لنا انهم كانوا ينطقون هذه الافعال أما بالياء أو بالامالة[٣٣] • وبعد هذا يتساءل بعض

(٢٨) المصدر السـابق ؛(ج ٢ ، ص ٢٦٣ .
(٢٩) دروس في علم اصوات العربية ، ص ١٥٩ ؛ ترجمة صالح القرمادي ، تونس ١٩٦٦ .
(٣٠) شهاب الدين القسطلاني ، لطائف الاشارات لفنون القراءات ؛ ج ١ ؛ ص ٨١ . جان كانتينو ، دروس في علم اصوات العربية ، ص ١٦١ .
(٣١) النشر في القراءات العشر ، ج ٢ ، ص ٣٥ ؛ باعتناء علي بن محمد الضباع، مصر .
(٣٢) شرح مفصل الزمخشري ، ج ٢ ؛ ص ١٢٥٦ .
(٣٣) الدكتور غالب فاضل المطلبي ؛ في الاصوات اللغوية ، ص ١٦٦ ــ ١٦٧ .

الباحثين اللغويين[٣٤] انْ كان هذا يعني أن الامـالة كانت يومـاً ما صوتا مستقلا عن غيره من أصوات المدّ العربية . أي هل كانت العربية قد احتفظت الى حقبة متأخرة بذلك الصوت الرابع الذي اعتبره بعض اللغويين أحد أصوات المدّ الاساسية في اللغات السامية ، ثم فقد بعد ذلك قيمته الصوتية ، وصار صورة نطقية فحسب . فيرى قسم من المستشرقين ان الامالة هي بقية من آثار ذلك الصوت الرابع الموجود في اللغة السامية الأم[٣٥] لعل رأي الباحثين هذا على صواب الا انه ليس بيدنا أية وثائق تثبته بصورة قاطعة لانقراض اللغـة السامية الأم منذ زمان موغل في القدم بل منذ ما قبل التاريخ والاستدلال على خصائصها من بناتها اللغات السامية التي لاتزال قيد الاستعمال أو التي بقي شيء منها محفوظاً في الآثار الكتابية .

ومن الجدير بالذكر ان الامالة التي تكلمنا عليها والتي كانت شائعة في اللهجات العربية القديمة ماتزال شائعة هنا وهناك في الكلام العربي الدارج ، فاللبنانيون ينطقون الالف أغلب الاحيـان ممالة كما في الكاتب والقاتل . وكذلك في لهجة الموصل العامية تمال الالف في وزن فاعل الماضي والمضارع والامر ، كما في شاورد ويناوله ، عاملْه . وفي أغلب اللهجات العامية العربية تلفظ الفتحة التي تليها ياء ساكنة ؛ حركة مدّ طويلة ممالة كما في بيت وسيف وعين . وكذلك في معظم اللهجات العامية أغلب لفظ الكسرة ينطق ممـالا فيكون كنطق حرف (e) الفرنسية ، كما في لِب ؛ دِب ، قِرد ، كاتِب ، سائِر ، مانع ، بامالة كسرة الدال والقاف والسين والتاء والنون .

---

(٣٤) ج. برجستاسر ؛ التطور النحـوي ؛ ص ٣٤ ؛ القـاهرة ١٩٦٦ ؛ كارل بروكلمان ، فقه اللغات السامية ؛ ص ٥٢ ؛ ترجمة الدكتور رمضـان عبدالتواب ؛ الرياض ١٩٧٧ .

(٣٥) كارل بروكلمان ؛ فقه اللغات السامية . ص ٥٣ ؛ ج. برجستاسر ؛ التطور النحوي ، ص ٣٤ .

التفخيم :

هو امالة الألف نحو صوت الواو[٣٦] وكانت شائعة بين الحجازيين . فقد جنحت اللهجات الحجازية بوجه عام الى تفخيم الالف في النطق[٣٧] الا انه كان شائعاً أيضاً في اليمن في نطق الالف المقلوبة من الواو ، مثل الحيوة والصلوة والزكوة[٣٨] . وقد ظهرت آثار الميل الى تفخيم الالف لدى الحجازيين في كتابة المصاحف ، اذ وردت كلمات من قبيل الحياة والصلاة والزكاة والربا كالآتي : حيوة ، صلوة ، زكوة ، ربو ، الغدوة ، المشكوة ، النجوة ، المنوة[٣٩]. وذكر ابن جني[٤٠] ان التفخيم انما كان بسبب ميل الألف الى الواو ــ بينما كتبت الواو ألفا في أغلب الاحيان في حالتي النصب والجر[٤١] . وان لم يكن الأمر مطردا على هذه الحال في كل كتابات المصاحف ؛ اذ وردت نصوص من هذا القبيل بالضمة مثل « من زكوة » (سورة الروم ٣٩)[٤٢] وماتزال ظاهرة التفخيم قيد الاستعمال في كثير من اللهجات العامية في حالة الواو الساكنة المسبوقة بالفتحة ، كما في نوم ، دوم ، دور ، زوج .

---

(٣٦) ابن جني ، سر صناعة الاعراب ؛ ج ١ ؛ ص ٥٦ ؛ ابن حيان الاندلسي الغرناطي (ت ٧٥٤ هـ) . البحر المحيط ، ج ٦ ، ص ١٧٢ ؛ الرياض ؛ رضي‌الدين الاسترابادي ، شرح شافية ابن الحاجب ؛ ج ٣ ؛ ص ٢٥٥ .

(٣٧) محمد الانطاكي ، المحيط في اصوات العربية ونحوها وصرفها ، بيروت ١٩٧٢ ؛ ج ١ ؛ ص ٤٣ ؛ الدكتور تمام حسان ، اللغة العربية معناها ومبناها ، ص ٥٣ ، القاهرة ١٩٧٠ ؛ جان كنتينو ، دروس في علم اللغة العربية ؛ ص ١٦٣ .

(٣٨) ابو الفضل بن منظور الافريقي المصري (ت ٧١١ هـ) ؛ لسان العرب ، ج ١١ ، ص ٢١١ ، بيروت ١٩٥٥ ــ ١٩٥٦ .

(٣٩) ابو عمرو عثمان الداني (ت ٤٤٤ هـ) ؛ المقنع ، ص ٥٤ ؛ المحكم ، ص ١٨٨ .

(٤٠) سر صناعة الاعراب ، ج ١ ، ص ٥٦ .

(٤١) ابو عمرو الداني ، المقنع ، ص ٥٤ .

(٤٢) المصدر السابق ، ص ٥٤ .

الكسرة المشوبة بالضمة :

كانت طائفة من العرب تشمّ الكسرة شيئاً من الضمة وتشمّ الياء رائحة من الواو في الالفاظ التي من قبيل قيل وبيع وسيق ونيل[٤٣] ينتج من هذا الاشمام صوت مدّ يترجّح نطقه بين الكسرة والضمّة ، أو بين ياء المدّ وواو المدّ . ويلاحظ ابن جني[٤٤] ان نطق الكسرة في هذا الصوت أوضح من نطق الضم. هذا الصوت معروف في بعض اللغات منها الفرنسية والالمانية (u)[٤٥] ويظهر من كلام ابن حيان ان هذا الصوت كان شائعاً في نجد حيث ذكر ان « الفعل الثلاثي الذي انقلبت عين فعله ألفاً في الماضي ... اذا بُني للمفعول اخلص كسر أوّله وسكنت عينه ياء في لغة قريش ومن جاورهم من بني كنانة ، وضُمّ أوّله عند كثير من قيس وعقيل ومن جاورهم وعامة بني أسد »[٤٦] .

الضمة المشوبة بالكسرة :

ذكر ابن جني[٤٧] لهذا النوع من الامالة أمثالاً : « مررتُ بمذعور » و « هذا ابن بور » . فنحت العرب بضمة العين في « مذعور » وضمة الياء في « بور » نحو الكسرة ، فشمّوها شيئاً من تلك الكسرة . والجدير بالملاحظة ان اللغويين لم يأتوا بأمثال في نطق هذا النوع من الامالة الا قبل حرف الراء . فلعل الضمة لم تكن تُشم بالكسرة الا قبل الراء . وهذا الصوت يختلف عن سابقه أي الكسرة المشمة بالضمة اذ يكون اللسان قد اتّخذ فيه وضع النطق بالضمة في حين كانت الشفتان قد اتّخذتا وضع النطق بالكسرة ، فنتج جراء

(٤٣) سيبويه ، الكتاب ، ج ٢ ، ص ٣٦٠ ؛ ابو عمرو الداني ، المحكم ، ص ٤٧ .
(٤٤) سر صناعة الاعراب ، ج ١ ، ص ٥٧ .
(٤٥) الدكتور احمد مختار عمر ، دراسة الصوت اللغوي ، ص ١٠٤ ، القاهرة ١٩٧٦ .
(٤٦) ابن حيان الاندلسي الغرناطي ، البحر المحيط ، ج ١ ، ص ٦٠ ــ ٦١ .
(٤٧) سر صناعة الاعراب ، ج ١ ، ص ٥٧ .

ذلك هذا الصوت المختلط[٤٨]

الحركات المختلسة :

أورد اللغويون العرب درجتين من الاختلاس :

درجة الاشمام :

هذه الدرجة في عرف اللغويين اذاقة الحرف الضمة أو الكسرة بحيث لا تسمع ؛ وانما يتبيّن ذلك بحركة الشفتين ، ولا يُعتدّ بها لضعفها . والحرف الذي فيه الاشمام ساكن أو كالساكن[٤٩] . ويبدو أن صوت المدّ في هذه الحالة يفقد قيمته المتقطعية فقدانا كاملا . يشير سيبويه الى ذلك بما فحواه ان هذا الصوت لا يكسر وزن الشعر اذ انه حين انشد :

متى أنام لا يؤرقني الكرى ليلا ولا أسمع أجراس المطي

مجزوم القاف . قال بعد ذلك : وسمعتُ بعض العرب يشمّها بالضم كأنه قال متى أنام غير مؤرق . ونقل الجوهري عن سيبويه بعد انشاد هذا البيت ما نصه : ان العرب تشمّ القاف شيئا من الضمة ؛ ولو اعتدلت بحركة الاشمام لانكسر البيت[٥٠] . والاشمام ظاهرة انتشرت بكثرة عند التميميين وأهل نجد[٥١] .

درجة الروم :

عرّف اللغويون العرب الروم بأنه « حركة مختلسة مخفاة بضرب من

(٤٨) الدكتور غالب فاضل المطلبي ، في الاصوات اللغوية ، ص ١٧١ .
(٤٩) محمد مرتضى الزبيدي (ت ١٢٠٥ هـ) ؛ تاج العروس من جواهر القاموس . ج ٨ ، ص ٣٦٠ ؛ ابو عمرو الداني . المحكم ؛ ص ٤٤ ؛ الحافظ ابو الخير الدمشقي ابن الجوزي ؛ النشر في القراءات العشر ؛ ج ٢ ؛ ص ١٢١ .
(٥٠) محمد مرتضى الزبيدي ، تاج العروس ، ج ٨ ، ص ١٢١ .
(٥١) الدكتور غالب فاضل المطلبي ؛ لهجة تميم واثرها في العربية الموحدة ؛ ص ١٤٨ ، بغداد ١٩٧٨ .

التخفيف . وهي أكثر من الاشمام لانها تسمع[٥٢] . وهو النطق ببعض الحركة ؛ ويُعتبر صوت مدّ قصير جدا ، له مالصوت المدّ . ويرى سيبويه ان هذا الصوت بقي محتفظاً بقدرته على اداء دوره في النسيج المقطعي . وأضاف « وهي بزنة الحركة وان كانت مختلسة »[٥٣] ؛ اذ انها تعتبر في أوزان الشعر حركة كالضمة والكسرة والفتحة ؛ وهو ما ذكره سيبويه أيضاً فيما يلي :

أأن زم احبال وفارق جيرة وصاح غراب البين أنت حزين

ان قوله أأن زم تقطيعه فعولن ، ولا يجوز تسكين العين . وكذلك القول « شهرُ رَمضان فيمن اخفى ، انما هو بحركة مختلسة ، ولا يجوز أن تكون الراء الاولى ساكنة لان الهاء قبلها ساكن »[٥٤] . غير ان الروم حركة غير شائعة الا في سياقات محددة[٥٥] .

حذف حركات المد الطويلة واضافتها :

وُضعت حروف العلة الثلاثة لحركات لمد الطويلة ، الا اذا تحركت بحركة قصيرة أو سكنت وتحرك ما قبلها بحركة غير مجانسة . الا أنه وردت في القرآن الكريم كلمات عديدة حُذفت منها حروف العلة مع احتفاظها بحركة المدّ الطويل . وكذلك وردت قلة من الكلمات وُضعت حروف العلة التي هي علامات المدّ الطويل في محل الحركات القصيرة المجانسة لها مع بقاء لفظ الحركات القصيرة .

---

(٥٢) ابو الخير ابن الجزري ، النشر في القراءات العشر ، ج ٢ ، ص ١٢١ .
(٥٣) المصدر السابق ، ص ١٢١ ؛ محمد مرتضى الزبيدي ، تاج العروس ، ج ٨ ، ص ٣٢٠ .
(٥٤) محمد مرتضى الزبيدي ، تاج العروس ، ج ٨ ، ص ٣٢٠ ؛ ابن جني ، سر صناعة الاعراب ، ج ١ ، ص ٦٤ .
(٥٥) الدكتور غالب فاضل المطلبي ، في الاصوات اللغوية ، ص ١٧٣ — ١٧٤ .

حذف الالف :

شائع جداً في القرآن الكريم ؛ واذا استثنيت ألف « ال » التعريف يلاحظ المرء ان غالبية الألف محذوفة . نورد هنا بعض الضوابط لحذفها وعدمه :

ـ حُذفت الألف من كل يا المنادي [٥٦] في نحو « يأيها الناس » و « يأُولي الالبب » و « يأخت هرون » و « ئيادم » و « ينوح » و « يلوط » و « يهود » و « يشعيب » ، و « يموسى » ...

ـ وحُذفت في التثنية المرفوعة ، فعلا كانت او اسما ، مالم تقع طرفا ووقعت حشواً [٥٧] نحو « وامرأتن » و « رجلن » و « سحرن » و « ما يعلمن » و « يحكمن » و « يقتلن » . وغير ذلك ...

ـ وحُذفت بعد نون ضمير جماعة المتكلمين [٥٨] مثل « أنجينكم » و « أغوينكم » و « مكّنكم » و « أتينه » و « أرسلنك » وما كان مثله .

ـ وحذفت من غالبية الاسماء الاعجمية الواردة في المصاحف [٥٩] ، نحو « ابرهيم » و « اسمعيل » و « اسحق » و « هرون » و « عمرن » و « لقمن » . وحذفت ايضاً في بعض اسماء العلم العربية ، مثل « صالح » و « ملك » و « خلد » .

ـ وحُذفت ايضاً في الجمع السالم الكثير الدور في المذكر والمؤنث [٦٠] :

المذكر ، نحو : « العلمين » ، « الصبرين » ، الصدقين ، القنتين :

---

(٥٦) ابو عمرو الداني ، المقنع ، ص ١٦ .
(٥٧) المصدر السابق ، ص ١٧ .
(٥٨) المصدر السابق ، ص ١٧
(٥٩) المصدر السابق ، ص ٢١ .
(٦٠) المصدر السابق ، ص ٢٢ .

المنفقين ، الكفرين ، الظلمون ، الخسرون ، السحرون ، الكفرون ...

المؤنث ، نحو : المسلمت ، المؤمنت ، الطيبت ، الخبيثت ، الكلمت ... هذا ما عدا في حالة مجيء همزة او حرف مضاعف بعد الالف . نحو : السائلين، القائسين ، الخائنين ، الصائمين ، الظانّين ، الضالّين ، العادّين ، الحافّين . وقد حُذفت قليلا منها الألف ولا سيما في المؤنث ، وما اجتمع فيه الفان من جمع المؤنث السالم ، فان الرسم في اكثر المصاحف ورد بحذفهما معاً سواء كان بعد الالف حرف مضعف او همزة ، نحو : الصلحت ، الحفظت ، الصدقت ، النزعت ، الصفّت صفا ، والصئمت وتئبت ، وسئحت ، وشبهه .

ولم تحذف الالف في الفعل المعتل العين في الماضي المجرد ، مثل : كان ، قال ، تابوا ، جاءتهم ، شاء . هذه الكلمات وغيرها وردت كثيرا في القرآن الكريم مع بقاء الالف .

كما لم تحذف بعد الهمزة التي تُكتب وحدها ، اي بدون كرسي مثل « الفحشاء » ، سورة العنكبوت (٧ ، ٤٥) ، يشاء (٦٢) ، « وباء » سورة البقرة (٦١) . ولم تحذف في اغلب الكلمات المنتهية بالف مقصورة اذا اتصلت بضمير ، مثل : « بعصاك » ، سورة البقرة (٦٠) ، وسورة الاعراف (١٩٠) ، « هداي » سورة البقرة (٣٨) . ولم تحذف الا قليلا بعد الحروف الغير المتصلة بما قبلها او بما بعدها ، مثل « العذاب » سورة العنكبوت (٥٥) «دار» سورة النحل (٣٠) ، « عباد » ، سورة الاعراف (١٩٤) . « على ادباركم » سورة المائدة (٢١) .

ولا غرابة في حذف الألف في اصول العربية القديمة ، اذ انها بذلك تسير في مسالك شقيقاتها اللغات السامية ، اخص بالذكر اللغة السريانيةالتي لايُمثّل فيها مدّ الفتح الطويل بالألف الا قليلا جدا . ولم يكن لها علامة قبل وضع

علامات التحريك . وعند اختراعهم تلك العلامات وضعوا لحركة الفتح الطويل علامة خاصة غير الألف .

حذف الياء :

أقل بكثير في القرآن الكريم من حذف الألف ؛ ومع ذلك فهو يرد كثيرا .

ـ حذفت الياء في المنادى المضاف الى نفسه الا النادر جداً ، نحو « يعبادِ الذين آمنوا » سورة الزمر (١٠) ، « يعبادِ فاتقون » (١٦) .

ـ وحذفت غالبا ان كانت للمتكلم تسبقها نون الوقاية ، وذلك في الفعل الماضي والمضارع والامر نحو : « فاني فارهبونِ » سورة البقرة (٤٠) ، «وايي فاتقونِ » (٤١) ، «ولا تكفرونِ » (١٥٢) ؛ «واتقونِ يأولي الالبب» (١٩٧). وفي سورة آل عمران : « ومن اتبعنِ وقل » (٢٠) ، « واطيعونِ » (٥٠) ، « وخافونِ ان كنتم » (١٧٥) . وفي سورة المائدة : « واخشونِ اليوم » (٣). وفي سورة الانعام : «وقد هدانِ » (٨٠) . وفي سورة الاعراف : «ثم كيدونِ فلا تنظرونِ » (١٩٥) . وهكذا في سائر السور .

وحذفت ايضا الياء في غير هذه الاحوال ، نحو : في سورة البقرة « دعوة الداعِ اذا دعانِ » (١٨٦) . وفي سورة النساء « وسوف يوتِ الله » (١٤٦) . وفي سورة الانعام « يقض بالحق » (٥٧) . وفي سورة يونس « ننج المؤمنين » (١٠٣) . وفي سورة هود «يوم ياتِ لا تكلم» (١٠٥) . وفي سورة رعد « الكبير المتعالِ » (٩) ، « واليه متابِ » (٣٠) . وفي سورة بني اسرائيل « فهو المهتدِ » (٩٧) . وفي سورة الكهف « ما كنا نبغِ » (٦٤) وهكذا في سائر السور .

اما الواو :

فلم تحذف الا في اماكن محدودة ، بينها اربعة افعال مرفوعة ، وهي : في

سورة الاسراء « ويدعُ الانسن بالشر » (١١) • وفي سورة الشورى «ويمحُ الله الباطل » (٢٤) • وفي سورة القمر « يدعُ الداعِ » (٦) • وفي سورة العلق « سندعُ الزبانية » (١٨) •

وأضيفت حروف العلة الثلاثة في بعض الكلمات نذكر قسما منها :

ـ اضافة الالف : في سورة النمل « او لأذبحنه » (٢١) • سورة يوسف (٨٧) « ولا تايئسوا من روح الله انه لا يايئس من روح الله الا القوم الكفرون » • سورة رعد (٣١) « أفلم يايئس الذين ءامنوا » • سورة الكهف (٢٣) « ولا تقولن لشايء اني فاعل ذلك غدا » •

ـ اضافة الياء : سورة آل عمران (٤٤) « أفاين مات او قتل » • سورة الانعام (٣٤) من نباءي المرسلين (٣٤) «من تلقائي نفسي » •

ـ اضافة الواو : في سورة الاعراف (١٤٥) « سأوريكم دار الفسقين »• في سورة الانبياء (٣٧) « سأوريكم ءايتي » •

٢ـ بعد ان تكلمنا على حركات المدّ في العربية، وتطرقنا الى لفظ حركات المدّ الطويلة والقصيرة وتفرعاتها والامالة والتفخيم في اللهجات العربية قبل توحيدها ، وتكلمنا على حذف حروف العلة واضافتها في القرآن الكريم الذي هو امام اللغة العربية وعامل وحدتها . نحاول الآن ان نبحث نشوء علامات المدّ الطويل وعلامات حركات المدّ القصير ، اي الشكل في العربية • وبعدها نبحث نشوء الاعجام أي العلامات التي تميز الحروف ذات الصور المشتركة عن بعضها •

أ ـ نشوء الشكل :

ان علامات المدّ الطويل الالف والياء والواو دخلت الى اللغة العربية منذ ان اخذ العرب حروف الهجاء من اللغة الآرامية [٦١] فاستعملوها لتأدية حركات

المدّ الطويل اي الفتح الطويل والكسر الطويل والضم الطويل ، بالاضافة الى استعمالها حروفا داخلة في جـذر الفاظ لتأدية اصوات خاصـة ضمن حروف الهجاء .

كانت الالف الآرامية تُكتب بهذا الشكل ﭐ ، الا ان الانباط ابتدعوا رمزا جديدا لصوت الالف ، كان في مراحله الاولى عبارة عن خط مائل ينتهي باسفله فيجهة اليمنى بدائرة شبه بيضوية (ﻉ) الا ان تلك الدائرة تنفرج في مرحلة النقوش المتأخرة ، ثم تختفي كليا ليصبح رمز الألف خطا مائلا من غـير انحناء (/). ثم اصبح في الكتابات العربية قبيل الاسلام (ﺍ) .

والياء كانت في النقوش النبطية (ﻱ) ، غير انها تطورت بعدئذ الى أشكال اخرى منها (ﻳ ﻴ ﻲ) .

اما الواو فلم يطرأ على رمزها الا تغيير بسيط في الكتابات النبطية القديمة والمتأخرة فقديما كانت تميل الى الاستقامة (ﻭ) الا انها أخذت بالانحناء الى اليسار في الخطوط المتأخرة فصارت ﻭ

ساهمت هذه الحروف الثلاثة مساهمة غير يسيرة في تذليل مهمة القراءة في العربية وكتابتها في دور النشوء . هذا رغم ان الألف سقطت في غالب الحالات من تأدية مهمتها في بادىء الأمر ، كما ذكرنا من قبل . وذلك حسب ما كان سائداً في اللغات السامية شقيقاتها من عدم اتخاذ الالف كعلامة للفتح الطويل الا نادراً ؛ الامر الذي مايزال جاريـا حتى الآن في قسـم من تلك

(٦١) انظر بحثنا الموسوم « نشوء الخط العربي » مجلة مجمع اللغة السريانية ، م ٤ ، ١٩٧٨ ، ص ١١ ــ ٢٧ .

اللغات ، ومنها اللغة السريانية . ومهما كان الأمر فان دور حروف العلة كان ومايزال أساسيا للقراءة الصحيحة في اللغة العربية وفي سائر شقيقاتها .

اما الشكل :

أي علامات المدّ القصير ، الفتح والكسر والضم ، فلم تكن معروفة لا في اللغة العربية ولا في شقيقاتها اللغات السامية .

ذكرنا في بحثنا السابق ان أولى الاشارات الى وجود بعض العلامات للمدّ القصير في اللغة السريانية وردت في عهد مار افرام السرياني (ت ٣٧٣ م)[٦٢] . ثم ظهرت بصورة أوضح **وأفضل في مستهل القرن** الخامس الميلادي ، واكتملت تدريجيا حتى أصبحت تشمل كل حركات المدّ الطويلة والقصيرة[٦٣] في القرنين السابع والثامن للميلاد .

والعرب عندما اقتبسوا حروف الهجاء من الارامية قبيل ظهور الدعوة الاسلامية لم يستعملوا في الكتابات الاولى التي عثر عليها منقوشة على حجر أية علامات لا قبل الاسلام (شكل ١) ولا في صدر الاسلام (شكل ٢) . كما لا تظهر ولا في المصاحف الاولى (شكل ٣) .

متى اذاً دخل الشكل في اللغة العربية ؟ .

يعرّف ابو عمرو الداني الشكل[٦٤] بأنه التقييد والضبط . يقال شكل الكتابَ شكلاً أي قيّده وضبطه ، وشكل الدابة شكلا ، وشكل الطائر شكولا . والشكل المدوّر يسمّى نقطاً لكونه على صورة الاعجام الذي هو نقط أسود . والشكل الذي على هيئة نقط الاعجام ويرسم بالاحمر وضعه كما سنرى أبو أسود الدؤلي .

---

(٦٢) مجلة المجمع العلمي العراقي ، م ٨ ، ١٩٨٤ ، ص ٣٠٣ ــ ٣١٠ .
(٦٣) المصدر السابق ، ص ٣٢٧ ــ ٣٤٦ .
(٦٤) المحكم ، ص ١٢ .

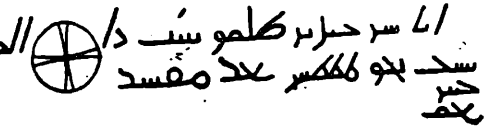

شكل (١) نقش حران سنة ٥٦٨ م

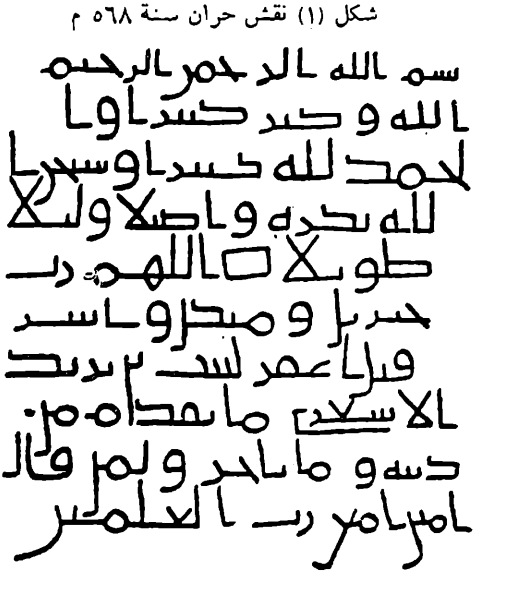

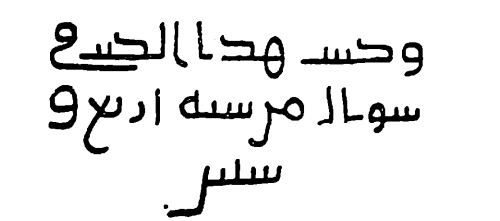

شكل (٢) كتابة كوفية على حجر قبر ثابت بن يزيد في جفنة الابيض بمحافظة كربلاء في العراق مؤرخة سنة ٦٤ هجرية

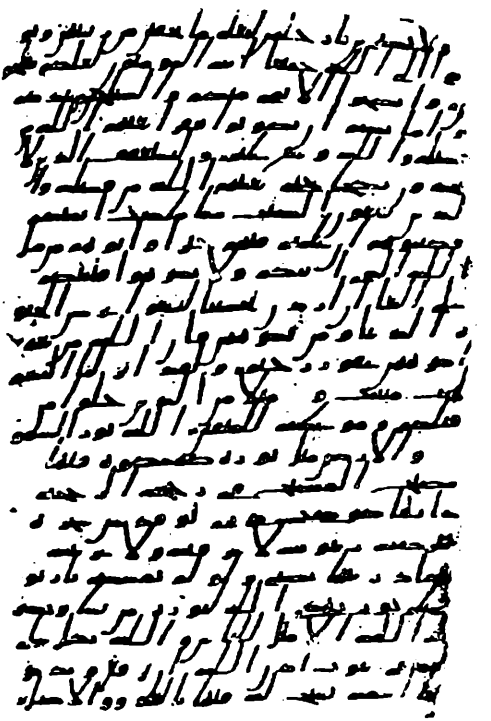

شكل (٣) احدى صفحات لأقدم مصحف في المتحف البريطاني

لا تخفى أهمية الشكل في اللغات السامية ، ولاسيما في اللغة العربية ، لانها لغات اشتقاقية . فمثلا في لفظة كتب ، هناك الفعل الماضي كتبَ وكتّب، والمصدر كتْب ، وجمع كتاب كتُب . ثم الفعل كاتب واسم الفاعل كاتب ، وكتاب ... والخ . كلها معناها العام الكتابة ويختلف معناها الخاص حسب حركاتها الطويلة أو القصيرة ونوعية هذه الحركات . وان الاصول تمثّل جذرا ثابتا يتغير معناه الصرفي من الفعل المجرد الى الفعل المزيد ، ومن الفعلية الى المصدرية أو الاسمية وفروعها من خلال دخول الحركات عليه .

سبق السريان العرب في النقط . يقول الدكتور عزة حسن في مقدمة كتاب المحكم لابي عمرو الداني الذي قام بتحقيقه : كما ترجح ذلك طائفة من الباحثين ان العرب تأثروا في طريقة نقط المصاحب بالسريان ، واستعانوا بما اخترعه هؤلاء قبلهم من علامات الحركات في لغتهم . كتب السريان مدة طويلة بالحروف الهجائية بغير تحريك ، ثم لما تنصروا ونقلوا الى لغتهم الكتب المقدسة، أرادوا ضبط كلماتها عند قراءتها في البيع والكنائس[٦٥] . وما قام به السريان السابقون قام به العرب بعدهم . فلما انتشر الاسلام ودخل فيه كثير من الاقوام غير العربية ، لم يكونوا يجيدون لغة القرآن . فكان السبب في احداث النقط وضبط المصاحف به، بسبب فساد ألسنة العرب ، ووقوع اللحن في قراءة القرآن، والخوف من تزيّد ذلك مع مرور الايام . قال ابو عمرو الداني[٦٦] : « اعلم أيّدك الله بتوفيقه ، ان الذي دعا السلف رضي الله عنهم ، الى نقط المصاحف ... ما شاهدوه من أهل عصرهم ، مع قربهم من زمن الفصاحة

(٦٥) مقدمة كتاب المحكم ، ص ٢٨ ــ ٢٩ ؛ زاكية محمد رشدي ، السريانية نحوها وصرفها ، ص ٢٣ ؛ القاهرة ؛ جان كنتينو ؛ دروس في علم الاصوات العربية ، ص ١٧٣ ؛ أصل الخط العربي ؛ مجلة كلية الآداب ، القاهرة ، م ٢٣ ؛ ج ١ ، ١٩٦٥ ، ص ٢١٦ .

(٦٦) المحكم ١٨ ــ ١٩ .

ومشاهدة أهلها ، من فساد ألسنتهم واختلاف ألفاظهم وتغيّر طباعهم ودخول اللحن على كثير من خواص الناس وعوامهم ، وما خافوه مع مرور الايام وتطاول الازمان من تزيّد ذلك وتضاعفه فيمن يأتي بعد ، ممن هو ، لاشك ، في العلم والفصاحة والفهم والدراية دون من شاهدوه ، ممن عرض له الفساد ودخل عليه اللحن ، لكي يُرجع الى نقطها ويُصار الى شكلها ، عند دخول الشكوك وعدم المعرفة ، ويتحقق بذلك اعراب الكَلِم وتدرك به كيفية الألفاظ » .

أما تاريخ بداية الشكل في العربية فرواياته مختلفة . وهناك من يرى ان الشكل قديم ؛ وهم يستندون الى ما ورد من ان الصحابة قد جرّدوا المصاحف من الشكل[٦٧] . ومما ورد عن الاوزاعي من انه سمع قتادة يقول : « بدأوا فنقطوا ثم خمّسوا ثم عشّروا[٦٨] . ويرى ابو عمرو الداني[٦٩] ان هذا الكلام عن الصحابة وأكابر التابعين . وهم المبتدئون بالنقط ورسم الخموس والعشور ؛ لان حكاية قتادة لا تكون الا عنهم . الا ان الدكتور غالب المطلبي[٧٠] يستبعد أن يكون ذلك النقْط يعني الشكل ، ويرجح انه يعني الاعجام . وسوف تتطرق الى ذلك فيما بعد .

ويذهب قوم من اللغويين الى ان المبتدىء بالشكل نصر بن عاصم الليثي[٧١] . ويذهب رأي آخر الى ان المبتدىء بذلك يحيى بن يعمر

(٦٧) الحافظ ابو الخير الدمشقي المعروف بابن الجزري ، النشر في القراءات العشر ، ج ١ ، ص ٣٣ .
(٦٨) ابو عمرو الداني ، المحكم ، ص ٣ .
(٦٩) المصدر السابق ، ص ٣ .
(٧٠) في الاصوات اللغوية ، ص ١٤٦ .
(٧١) ابو عمر الداني ، المحكم ، ص ٧ ؛ ابو العباس القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج ٣ ، ص ١٥٦ .

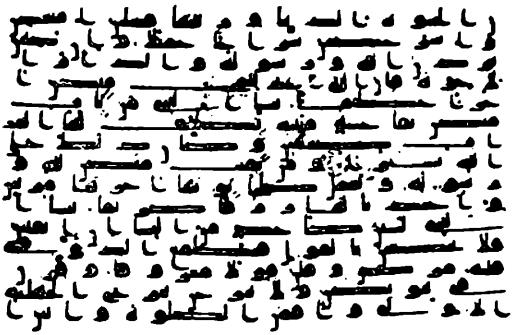

شكل (٤) صحيفة من مصحف قديم شكلت على طريقة النقط

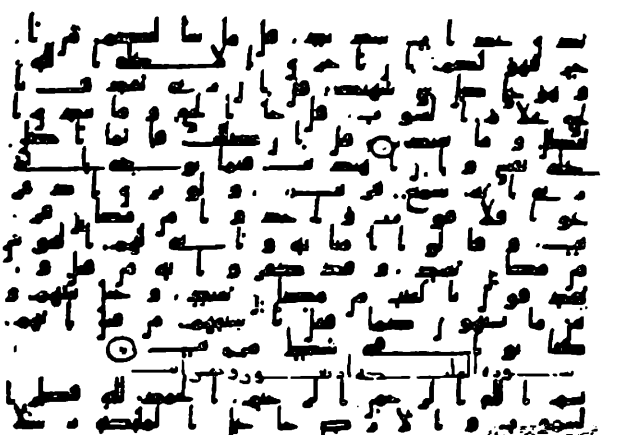

شكل (٥) ورقة من مصحف ينسب الى الخليفة عثمان او مما كتب في عهده للأمصار بخط كوفي ويلاحظ فيها الشكل على طريقة النقط المدور

فأبى ذلك ابو الأسود وكره اجابة زياد الى ما سأل ، خشية اضافة شيء على المصحف .

فوجّه زياد رجلا وقال له : اقعد في طريق أبي الاسود ، فاذا مرّ بك فاقرأ شيئا من القرآن وتعمد اللحن فيه . ففعل ذلك فلما مرّ ابو الاسود رفع الرجل صوته وقال : « ان الله بريء من المشركين ورسوله »[٧٦] بكسر اللام، فاستعظم ذلك ابو الأسود وقال : عزّ وجه الله ان يبرأ من رسوله . ثم رجع من فوره الى زياد وقال : قد أجبتك الى ما سألت ، ورأيت ان أبدأ باعراب القرآن ، فابعث اليّ ثلاثين رجلا ، فأحضرهم زياد ، فاختار منهم عشرة ، ولم يزل يختار منهم حتى وقع اختياره على رجل من عبد القيس وقال له : خذ المصحف وصبغاً يخالف لون المداد ، فاذا فتحتُ شفتي فانقط واحدة فوق الحرف واذا ضممتها فاجعل النقطة الى جانب الحرف واذا كسرتها فاجعل النقطة في اسفله فان اتبعت شيئا من هذه الحركات غُنّة فانقط نقطتين [٧٧] ، فابتدأ بالمصحف حتى أتى الى آخره [٧٨] . ودرجت طريقته بين العرب ، وأكثر المصاحف شكلت آنذاك على هذا النحو . (شكل ٤) .

من الجدير بالذكر ان مصحفا يُعزى الى الخليفة عثمان بن عفان (٢٣ ــ ٣٥ هـ (شكل ٥) مشكل على طريقة ابي اسود الدؤلي ، اى النقط المدوّر . ومن ناحية اخرى ذكر الحافظ ابو الخير الدمشقي المعروف بابن الجزري (انظر الهامش ٦٧ من بحثنا هذا) ان الصحابة قد جرّدوا المصاحف من الشكل . من المتأكد ان قسما من الصحابة كانوا بعد في قيد الحياة في عهد ابي اسود (ت ٦٩ هـ) . فلعل الصحابة جرّدوا المصاحف من الشكل بعد ان اخترعه ابو الاسود ؛ او كان الشكل موجودا قبل ابي الاسود . وبخصوص

(٧٦) سورة التوبة ، ٣ .
(٧٧) يعني بالغنة التنوين .
(٧٨) المحكم ، ص ٣ ــ ٤ ؛ المقنع ١٢٤ ؛ ١٢٧ .

من الاندلسيين وغيرهم ونقطوا به مصاحفهم [٨١] كما اخذ ايضاً اهل مكة من البصريين ، على ان سلفهم كانوا على غير ذلك . قال ابن أشته : رأيتُ في مصحف اسماعيل القسط امام اهل مكة الضمة فوق الحرف والفتحة قدام الحرف ، ضد ما عليه الناس [٨٢] . اذ ان نقطة الضمة كانت قدام الحرف ونقطة الفتحة فوق الحرف .

اكتفى ابو الاسود بوضع علامات الفتح والكسر والضم والتنوين . ثم اكمل الخليل بن احمد الفراهيدي ما بدأه ابو الاسود ، اذ وضع علامات للهمز والتشديد والروم والاشمام [٨٣] . فوضع الخليل للهمزة نقطة بالاصفر : بينما كانت سائر العلامات بالاحمر .

وضع ابو الاسود علامات الشكل نقطا ترسم بالحمراء فوق الحرف او تحته او فيه او أمامه . وسوف نرى بعدئذ انه قد وُضع ايضا نُقط بالاسود للاعجام . وظل ذلك طيلة حكم الأمويين . والنقط مع اختلاف المداد لكتابة علامات الاعراب والاعجام كان يسبب تعقيداً للخطاطين والكتّاب والقراء معاً . فعلى الخطاط ان يحضر ثلاثة أنواع من المداد : الاسود لكتابة الحروف ونقاط الاعجام والاحمر لرسم علامات الشكل والأصفر لرسم الهمزة. وعليه ان يستعمل ايضاً ثلاثة اقلام . هذا بالاضافة الى التخليط القبيح الذي كانت تقوم به طائفة من القراء وجهلة من النقاط من جمع قراءات شتى وحروف مختلفة في مصحف واحد ، وجعلهم لكل قراءة وحرف لوناً من الألوان المخالفة للسواد ، كالحمرة والخضرة والصفرة واللازورد[٨٤] . فنهض العرب في أول العهد العباسي بتبسيط كتابتهم وتم ذلك على يد الخليل بن احمد الفراهيدي

(٨١) المصدر السابق ، ص ٨ .
(٨٢) المصدر السابق ؛ ص ٨ ــ ٩ .
(٨٣) المحكم ، ص ٦ ؛ المقنع ، ص ١٢٥ .
(٨٤) المحكم ، ص ٢٠ .

شكل مصحف عثمان فهناك احتمالات عدة : فاما انه قد كُتب قبل ان يجرد الصحابة المصاحف من الشكل ؛ او ان الشكل الظاهر عليه من وضع متأخر ، او ان نسخة المصحف نفسها كتابتها بعد عهد عثمان ، ونسبها كاتبها اليه لتزداد اهميتها .

ويورد ابو عمرو الداني (٧٩) رواية أخرى عن ابي بكر ابن الانباري في كتاب الايضاح في الوقف والابتداء ، قال : ان ابا الاسود طلب من زياد ابن ابيه ان يأذن له في ان يضع شيئا يصلح به اللحن . جاء الى زياد بالبصرة فقال : اني أرى العرب قد خالطت هذه الاعجام وتغيرت السنتهم . أفتأذن لي ان اضع للعرب كلاما يعرفون ان يقيموا به كلامهم ؟ قال : لا . وبعد ايام جاء رجل الى زياد وقال أصلح الله الأمير ، توفي أبانا وترك بنونا . فقال زياد : توفي أبانا وترك بنونا ! ادعوا لي ابا الاسود . فحضر هذا الأخير فقال له زياد : ضع للناس الذي نهيتك أن تضع لهم . » وكيف ما كان الأمر فان اللغويين يرجحون ان أبا الاسود هو المبتدىء في وضع الشكل اي الفتح نقطة بالحمراء فوق الحرف وللكسر نقطة بالحمراء تحت الحرف وللضم نقطة بالحمراء داخل الحرف او امامه ، وللتنوين نقطتان من نفس اللون وفي نفس الموضع .

وضع هذا الشكل في العراق نقاطا فسمي ايضا النقط المدور . ومن العراق وبالأخص من البصرة انتشر بين العرب . ويروي ابو عمرو الداني (٨٠) عن ابي حاتم سهل بن محمد قوله : النقط لاهل البصرة ، أخذ الناس كلهم منهم ، حتى اهل المدينة . وكان هؤلاء الاخيرون ينقطون على غير هذا النقط ؛ فتركوه ونقطوا نُقط اهل البصرة . ثم أخذ من اهل المدينة عامة أهل المغرب

(٧٩) المحكم . ص ٤ ؛ الحاشية ٢ .
(٨٠) المصدر السابق ، ص ٧ .

من الاندلسيين وغيرهم ونقطوا به مصاحفهم [٨١] كما اخذ ايضاً اهل مكة من البصريين ، على ان سلفهم كانوا على غير ذلك . قال ابن أشته : رأيتُ في مصحف اسماعيل القسط امام اهل مكة الضمة فوق الحرف والفتحة قدام الحرف ، ضد ما عليه الناس [٨٢] . اذ ان نقطة الضمة كانت قدام الحرف ونقطة الفتحة فوق الحرف .

اكتفى ابو الاسود بوضع علامات الفتح والكسر والضم والتنوين . ثم اكمل الخليل بن احمد الفراهيدي ما بدأه ابو الاسود ، اذ وضع علامات للهمز والتشديد والروم والاشمام [٨٣] . فوضع الخليل للهمزة نقطة بالاصفر : بينما كانت سائر العلامات بالاحمر .

وضع ابو الاسود علامات الشكل نقطا ترسم بالحمراء فوق الحرف او تحته او فيه او أمامه . وسوف نرى بعدئذ انه قد وُضع ايضا نُقط بالاسود للاعجام . وظل ذلك طيلة حكم الأمويين . والنقط مع اختلاف المداد لكتابة علامات الاعراب والاعجام كان يسبب تعقيداً للخطاطين والكتّاب والقراء معاً . فعلى الخطاط ان يحضر ثلاثة أنواع من المداد : الاسود لكتابة الحروف ونقاط الاعجام والاحمر لرسم علامات الشكل والأصفر لرسم الهمزة. وعليه ان يستعمل ايضاً ثلاثة اقلام . هذا بالاضافة الى التخليط القبيح الذي كانت تقوم به طائفة من القراء وجهلة من النقاط من جمع قراءات شتى وحروف مختلفة في مصحف واحد ، وجعلهم لكل قراءة وحرف لوناً من الألوان المخالفة للسواد ، كالحمرة والخضرة والصفرة واللازورد[٨٤] . فنهض العرب في أول العهد العباسي بتبسيط كتابتهم وتم ذلك على يد الخليل بن احمد الفراهيدي

(٨١) المصدر السابق ، ص ٨ .
(٨٢) المصدر السابق ؛ ص ٨ ــ ٩ .
(٨٣) المحكم ، ص ٦ ؛ المقنع ، ص ١٢٥ .
(٨٤) المحكم ، ص ٢٠ .

(١٠٠ ــ ١٧٠ هـ) ، الذي كان عمدة زمانه في علوم اللغة العربية • فاخترع طريقة اخرى لعلامات الاعراب (الشكل) ، مستبدلا النقاط الملونة بعلامات صغيرة تكتب بنفس مداد الكتابة• وكان مجموع ما وضعه فيها ثماني علامات : الفتحة والكسرة والضمة والسكون والشدة والمدة والهمزة وهمزة الوصل على هيئة حروف صغيرة • ثم تطورت حتى اصبحت على الهيئة التي نراها عليها اليوم [٨٥] • واهمها العلامات الثلاث للمد القصير ، فوضع للفتحة الفا مبطوحة فوق الحرف ، وللكسرة ياءً مردودة تحت الحرف وللضمة واوا صغيرة في اعلى الحرف [٨٦] • ويرى الشيخ احمد رضا [٨٧] : ان الحركات العربية في الرسم ثلاث اما في اللفظ فأكثر ، ويضيف : انه لما اعتمد الكتاب في الرسم على رسم الحركات الثلاث فقط ألحقوا بكل واحدة منها ما كان قريبا منها • وأطلقوا اسم الامالة على الفتحة التي تميل الى الكسرة ، واسم الاشمام على الكسر المال الى الضم والضم المال الى الكسر ، واسم التفخيم على الفتحة التي تنتحي الضمة فتخرج بين بين ، اذا كانت بعدها ألف منقلبة عن الواو • وهكذا نوعوا الحركات وان بقيت صورها الخطية محصورة بثلاث • ثم عمدوا الى السكون فأخرجوا منه الروم ، وهو الاتيان بحركة خفية آخر الكلمة حال الوقف ، حرصا على بيان حركتها حال الوصل . » اما التشديد ، فوضع له الخليل صورة حرف الشين (اول شديد) وتبعه فيها سيبويه وعامة اصحابهما• وعلى ذلك سار أهل المشرق من النقاط وغيرهم [٨٨] وذكر أبو عمرو الداني ان عامة اهل المشرق يجعلونه في الحرف ابداً ، وصورة التشديد على هذا المذهب كما ترى ّ ، ويعربونه بالحركات ، فان كان مفتوحا شددوا وجعلوا على

---

(٨٥) عثمان صبري : نحو ابجدية جديدة ، ص ٧٩ ، القاهرة ١٩٦٤ .
(٨٦) المحكم ، ص ٧ ، ٤٢ .
(٨٧) رسالة الخط ، ص ٣٦ .
(٨٨) المحكم ، ص ٤٩ ــ ٥٠ .

الحرف نقطة علامة الفتح ؛ واذا كان مكسورا فشددوا وجعلوا تحت الحرف نقطة علامة للكسر ؛ وان كان مضموماً شددوا وجعلوا امام الحرف نقطة علامة الضم[٨٩]. أما أهل المدينة فقد وضعوا علامة للتشديد حرف الدال لكونه آخر حرف (شديد) ، وصورة التشديد على هذا المذهب في المفتوح ﻧّ وفي المكسور ﻧِّ وفي المضموم ﻧُّ [٩٠] . وهكذا دلّوا على التشديد ؛ كما دلّ عليه النحويون ونقّاط المشرق بأوّل حرف من تلك الكلمة وفي كل واحد من الحرفين الشين والدال دلالة عليه . وطريقة الدال انتشرت من المدينة الى المغرب ومنها الى الاندلس موطن أبي عمرو الداني الذي كان يفضلها على طريقة الشين : حيث قال : والى هذا الوجه ذهب نقّاط أهل المدينة من سلفهم وخلفهم وعلى استعماله واتباع أهل المدينة فيه عامة أهل بلدنا قديماً وحديثاً . وهو الذي اختار وبه انقط[٩١] وكانت توضع الدال للدلالة على التشديد وعلى حركة شكل الحرف معاً . وكما أوضحنا سابقا كانوا يضعونها فوق الحرف اذا كان مفتوحا وتحته اذا كان مكسورا وامامه اذا كان مضموماً . غير ان بعض أهل النقط يجعل مع الشدة الحركات ، تأكيدا في الدلالة على حقيقة اعراب الكَلِمة وحركات الحروف[٩٢] الا ان أهل النقط تركوا عبر الاجيال طريقة التشديد بالدال وأبقوا على الشين ، فعمّ استعمالها الى اليوم .

اما السكون فقد وضع له الخليل علامة جرة بالحمراء فوق الحرف المسكن ، سواء كان همزة او غيرها من سائر حروف المعجم [٩٣] . وهذه الجرة

(٨٩) المقنع ، ص ١٢٩ .
(٩٠) المحكم ، ص ٥٠ .
(٩١) المصدر السابق ، ص ٥٠ .
(٩٢) المصدر السابق ، ص ٥٠ .
(٩٣) المحكم ، ص ٥١ ؛ المقنع ، ص ١٢٩ .

اصلها الخاء ، الحرف الاول من خفيف بعد حذف رأسه [٩٤] . اما اهل المدينة فجعلوا علامة له دارة صغيرة حمراء فوق الحرف .. وكانوا يضعون أيضا هذه الدارة فوق الحرف الخفيف المختلف فيه بالتشديد والتخفيف ، الحرف الذي يُخاف ان يشدده مَن لا معرفة له ، دلالة على خفته [٩٥] .

والحركة المختلسة والمخفاة والمرامة والمشمّة هي في الحقيقة والوزن بمنزلة المشبعة ، الا ان الصوت لا يتم بتلك ولا يُمطّط اللفظ بها ، فتُخفى لذلك على السامع ، حتى ربما ظن ان الحرف المتحرك عارٍ من الحركة ، وانه مسكّن راساً لسرعة النطق بالمختلسة ، وتضعيف الصوت وتوهينه بالمخفاة والمرامة [٩٦] لهذه الحركات وضع الخليل ، ان كانت فتحة نقطة حمراء فوق الحرف ، وان كانت كسرة نقطة تحته ، وان كانت ضمة نقطة فيه او امامه[٩٧] . اما الحركة المشبعة[٩٨] فيُمطّط بها اللفظ، ويتم بها الصوت فتبدو محققة[٩٩]. وضع لها الخليل ، ان كانت فتحة ، الفاً مضطجعة ، وسماها سيبويه « بعض الف مالة » ، وان كانت كسرة ، ياء مردودة صغرى ، وان كانت ضمة ، واوا صغرى . قال ابو عمرو الداني ، وهذا عند أهل النقط في المختلف فيه من حركات خاصة دون المتفق عليه منهن [١٠٠] . ومن الجدير بالذكر قول ابي عمرو الداني ان نفس الحركة في ذات الكلمة يعتبرها بعض النقّاط حركة مختلسة ،

(٩٤) المحكم ، ص ٥١ ــ ٥٢ .
(٩٥) المصدر السابق ، ص ٥١ .
(٩٦) المحكم ، ص ٤٤ .
(٩٧) المصدر السابق ، ص ٤٤ .
(٩٨) لا يراد هنا بالحركة المشبعة حركة المد الطويل ، بل المد القصير ، مما يشبع اللفظ منه . وامثال ذلك فتحة النمزة في « ارنا » ، وكسرة العين في « فنعما » وضمة الراء في « ينصركم » .
(٩٩) المحكم ص ٤٤ .
(١٠٠) المصدر السابق ، ص ٤٥ .

ويعتبرها آخرون حركة مشبعة ، حيث يقول[١٠١] : واذا نُقط ما جاء في القرآن الكريم في كلمات « فنعما » (سورة البقرة ٢٧١) و « لا تعدوا » (سورة النساء ١٥٤) و « يهدي » و « يخصمون » على مذهب من اخفى حركة العين والهاء والخاء في هؤلاء الكلم من أئمة القراءة ، جعل تحت العين من « فنعما » نقطة ، وفوق العين والهاء والخاء من « تعدوا » و « يهدي » و « يخصمون » نقطة . واذا نُقط جميع ما تقدم مما اختلس الحركة فيه ابو عمرو او اخفاها او رامها هو وغيره على مذهب من أشبعها فيه جعل علامة الفتحة في قوله « ولا تعدّوا » و « يهدّي » و « يخصّمون » الفا صغرى مضطجعة فوق العين والهاء والخاء . وجعلت علامة الكسر في قوله « فنعمّا » ياء صغرى تحت الحرف .

اما الحركة المشمة في نحو قوله : سيء ، قيل وغيض وسيق وحيل وجايءَ ، فحقيقتها ان يُنحى بكسرة اوائل هذه الأفعال نحو الضمة يسيرا ، ليدل بذلك على ان الضم الخالص اصلها . كذلك ينحى بالفتحة الممالة نحو الكسرة قليلا ليُدلّ ايضا بذلك على انقلاب الالف عن الياء . فعند نقط هذه الحروف ذات الحركات المشمّة جُعل امام السين والقاف والغين والحاء والجيم نقطة بالحمراء ليدل بذلك على اشمامها ، اذ نُحي بكسرتها نحو تلك الضمة . وكذلك في الفتحة الممالة مثل : « النار » والنهار والنصارى وأسارى ، وما اشبه ذلك مما تمال فتحته لكسرة تليها ، او لالف تمال بعد لكسرة او ياء . فلدى نقط هذه الفتحة جُعلت نقطة بالحمراء تحت الحرف الذي هي عليه ، كما تجعل الكسرة سواء ، فجرت في النقط مجرى الكسرة . وهذا ما يصيب ايضاً الحرف ذي حركة الكسر المشم الى الضم ، توضع نقطة فيه او أمامه [١٠٢] .

(١٠١) المصدر السابق ، ص ٤٦ .
(١٠٢) ابو عمرو الداني ، المحكم ، ص ٤٧ ــ ٤٨ ؛ المقنع ، ص ١٣٨ .

اما حروف المد واللين الثلاثة ، الالف والياء والواو، فتنقط بمطة بالحمراء فوقها ، دلالة على زيادة تمكينها ، وذلك عند لقيهن بالهمزات والحروف السواكن : الالف نحو « خائفين » و « ضالّين » و « العادّين » و « من حادّ الله » ، وحرف الياء ، نحو « يا بني اسرائيل » و « يضيء » و « بريئون » . وحرف الواو : مثل « قالوا آمنّا » و « قوا انفسكم » و « تأمروني » . ولا يجوز جعل هذه المطة على الحرف المتحرك قبل حرف المد ، لان الصوت لا يمتد بمتحرك ، وانما يمتد بحروف العلة الثلاثة . وان كان حرف العلة محذوفا او كان حرفا زائداً ، ففيه وجهان : احدهما ان يرسم بالحمرة وتجعل المطة عليه ، والثاني الا يُرسم وترسم تلك المطة في موضعه ، دلالة على حذفه من الرسم وثباته في اللفظ . فالألف المحذوفة نحو : « أولئك » و « الملئكة » وما اشبهه ، والياء المحذوفة نحو : « نبئين » و « الداع اذا » و « وان ترن انا » ، وما اشبهه . والواو المحذوفة نحو : « فأوا الى الكهف » و «وان تلوا او تعرضوا» وكل ذلك على قراءة من أثبت حروف العلة الثلاثة في ذلك وسوّى بين المتصل والمنفصل فيها (١٠٣) .

وهكذا اخترع أبو الأسود الدؤلي النقاط الحمراء للدلالة على الشكل أي الفتح والكسر والضم والتنوين . ثم أكمل الخليل بن احمد الفراهيدي الشكل بوضعه علامات حركات المد القصيرة على هيئة حروف مصغرة . وبوضعه علامات للهمزة والتشديد والسكون والاشمام والحركات المختلسة والمشبعة والمدّ . فأكمل الخليل ما بدأه أبو الأسود وجاءت طريقة الشكل الذي وضعه الخليل كاملة شاملة ومن صميم اللغة العربية ، اذ استلهم علامات الشكل من الحروف العربية الا ان هذه الطريقة ، رغم سهولتها ووفائها بالغرض ، لم تشمل كل المناطق بالسهولة التي يتصورها المرء . ويظهر انها من

(١٠٣) المصادر السابقة ص ٥٤ ــ ٥٥ ؛ ص ١٣٧ ــ ١٤٠ .

عهد الخليل (١٠٠ ــ ١٧٠ هـ) لم تكن قد عمت بعدُ في عهد أبي عمرو الداني (ت ٤٤٤ هـ) اذ يعلن هذا الاخير من الاندلس قائلا[١٠٤] : « وتركُ استعمال شكل الشعر ، وهو الشكل الذي في الكتب الذي اخترعه الخليل ، في المصاحف الجامعة من الامهات وغيرها ، أولى وأحق ، اقتداءً بمن ابتدأ النقط من التابعين ، واتباعاً للأئمة السالفين . وقسمٌ من العلامات التي وضعها الخليل لم تكن تستعمل في عهد أبي عمرو الداني حتى في الجزيرة العربية ، ومنها التشديد ، فان الخليل وضع للتشديد حرف الشين شّ ، وكانت طريقة اخرى قيد الاستعمال في المدينة في عهد أبي عمرو الداني وعلامتها حرف الدال . ويقول أبو عمرو : « والى هذا الوجه (أي وجه استعمال الدال للتشديد) ذهب نقّاط أهل المدينة من سلفهم وخلفهم . وعلى استعمال واتباع أهل المدينة فيه عامة أهل بلدنا قديما وحديثا . وهو الذي اختار وبه انقط[١٠٥] . الا ان طريقة الخليل انتشرت بعدئذ وعمت كل البلاد العربية ، ولايزال كل العرب يتقيدون بها ، ما عدا علامة السكون . فكما رأينا وضع لها الخليل علامة جرة بالحمراء فوق الحرف . وعلى مرّ الاجيال اختفت جرة الخليل ، وبقيت دارة أهل المدينة .

ب ــ نشوء الاعجام :

يعرّف أبو عمرو الداني الاعجام كالآتي : « اعجمت الكتاب اعجاماً ، اذا نقطته ، وهو معجَمٌ ، وانا له معجِم . وكتاب معجَم أو مُعجّم ، أي منقوط ــ وحروف المعجم ، الحرووف المنقطة من الهجاء . وفي تسميتها بذلك قولان : أحدهما انها مبيّنة للكلام ، مأخوذ ذلك من قولهم : عجمت العود

(١٠٤) المحكم ، ص ٢٢ .
(١٠٥) المحكم ، ص ٥٠ .

وغيره ، اذا اختبرته »[١٠٦] .

من يطّلع على الكتابة العربية في أدوارها الاولى ، المنقوشة على الحجر يجدها خالية من كل علامات الاعجام ، كما يجدها خالية من علامات الشكل (الشكل ١ و ٢) . وكذلك المصاحف الاولى خالية منها . (الشكل ٣) . تتكلم بايجاز على نشوء الاعجام في العربية ، ومتى وضع ومن وضعه .

ذكرنا ان الاوزاعي روى عن قتادة قوله : « بدؤوا فنقطوا ثم خمّسوا ثم عشّروا . ويعني بهذا ان الصحابة وأكبر التابعين هم المبتدئون بالنقط ورسم الخموس والعشور ، ويضيف أبو عمرو الداني ان حكاية قتادة لا تكون الا عنهم[١٠٧] . ويذهب الدكتور غالب المطلبي[١٠٨] انه ليس ببعيد أن يكون المقصود بهذا التنقيط ، الاعجام . ويدعم رأيه هذا بأن نقْط الاعجام كان معروفا في بعض الآثار المتقدمة ، ويضيف ان الدكتور صلاح الدين المنجد عثر على بردية مصرية مؤرخة بسنة (٢٢ هـ) كان على بعض حروفها رقش . وكذلك عثر على بردية على سد الطائف ظهر فيها النقط على بعض حروفها[١٠٩] ويذهب الدكتور المطلبي الى القول[١١٠] انه ما يعزز رأيه هذا انهم لما وضعوا نقط الشكل ، جعلوه بلون مخالف للون الحروف ، ولعل ذلك كان خوفا من التباسه بنقْط آخر[١١١] . قد يكون نقط الاعجام .

ويذهب ناصر النقشبندي[١١٢] ان أول ما دخل الاعجام في العربية لم

---

(١٠٦) المصدر السابق ، ص ٢٢ ــ ٢٣ .
(١٠٧) المصدر السابق ، ص ٢ ــ ٣ .
(١٠٨) في الاصوات اللغوية ، ص ١٤٦ .
(١٠٩) محمد طاهر الخطاط ، تاريخ الخط العربي ، القاهرة ١٩٣٩ .
(١١٠) في الاصوات اللغوية ، ص ١٤٦ .
(١١١) المصدر السابق ، ص ١٤٦ .
(١١٢) المصاحف الكريمة في صدر الاسلام ، مجلة سومر ، ج ١ ــ ٢ ، م ١٢ ، ١٩٥٦ ، ص ٣٣ ــ ٣٧ .

يكن على هيئة النقط ، بل على هيئة خطوط مائلة فوق الحرف أو تحته بدل النقط المستعمل اليوم • فخط في أعلى الحرف للنون والخاء والضاء ، وتحته للباء، وخطان للياء•••وهكذا• يظهر ان الكاتب اعتمد في ذلك على المستشرق B. MORITZ في كتابه Arabic Palaeography, Cairo, 1950. ، اذ يشير اليه مرتين في بحثه • هل تكون الخطوط المائلة التي يشير اليها ناصرالنقشبندي ذلك الرقش على الحروف الذي يذكره الدكتور صلاح‌الدين المنجد ؟ الا ان الدكتور صلاح‌الدين يذكر بعدئذ نقطا على كتابة سدّ الطائف وليس خطوطاً •

ان نقطة الضعف في رأي ناصر النقشبندي ان أمر الخطوط المائلة كعلامات للاعجام لم يذكرها أحد كتاب العرب القدامى الذين كانوا حريصين كل الحرص على ذكر ما يعثرون عليه ويروونه بأمانة صادقة ، ومن ناحية اخرى لم يقدم الكاتب أثراً مؤرخاً أعجِم بالخطوط المائلة ، بل هو نفسه يقدر تاريخ كتابته •

ومهما كان الأمر فان هذه الطريقة ان كانت الاولى أو الثانية أو الثالثة للاعجام فقد انقرضت منذ القرون الاولى •

يذهب المستشرق تايلر[١١٣] الى ان العرب أخذوا تمييز الحروف ذات الصور المشتركة من السريان • ليس للسريان في الأصل الا حرفان في رسم واحد يحدث فيهما الالتباس ، هما الدال والراء • وقد ميّز الآراميون بينهما لاول مرة في عهد تدمر ، اذ تلاحظ فوق الراء نقطة في كتابة نُقشت على حجر سنة (٢ م) • الا ان هناك بعض الحروف ، لاسيما في الضمائر وأسماء الاشارة ذات الصور المشتركة ، فميزها السريان برسم نقطة اما فوق الحرف أو الكلمة واما تحتها • ويظهر ذلك في أقدم مخطوطة سريانية عُثر عليها حتى

(١١٣) T. TAYLOR, The Alphabet, 2 vol. , London 1883

الآن • وهي معروفة بمخطوطة طيطوس البستري ، محفوظة في خزانة المتحف البريطاني تحت رقم Add 12150 ، يرقى تاريخ كتابتها الى سنة (٤١١م) • والأهم والأكثر دلالة فيما يخص الاعجام وروابطه بين السريانية والعربية هو ان في السريانية كما هو الحال في العربية أصوات ليس لها صور خاصة في الابجدية الاولى المكونة من ٢٢ حرفا • هذه الاصوات في السريانية والعربية ستة ، تسمي في السريانية حروف ﭘـ ﮔـ ﮐـ (بجذكفت) كلمة مكونة من الحروف الستة ، وتدعى في العربية الروادف (والرادف هو من يركب الخيل وراء الفارس) • لم يفكر السريان في وضع صور خاصة لها بل ألحقوا كل واحد منها بأقرب صوت في الابجدية وميزوها من أخواتها الاصلية برسم نقطة تحتها • فألحقوا ﭖ v اللاتينية بالباء والغين ﭺ بالجيم (الجامل) وتلفظ كالجيم المصرية ، وألحقوا الذال بالدال ، والخاء بالكاف والفاء بـ ﭡ p اللاتينية) والثاء بالتاء . أما الروادف عند العرب فهي الثاء والخاء والذال والضاد والضاء والغين وعند ازدواجها في أبجد تكون ثخذ ضظغ فألحق العرب الثاء بالتاء والخاء بالحاء والذال بالدال والضاد بالصاد والظاء بالطاء والغين بالعين • وبينما لم يعتبر السريان الروادف حروفا مستقلة بل ذات الحروف تلفظ تارة صلبة وهي الاصلية واخرى لينة وهي المحدثة ، جعلها العرب حروفا مستقلة وقد أحسن العرب بذلك ، ولم يقعوا مثل السريان في متاعب لفظ الروادف وتعقيداتها •

بعد هذا الايضاح حول الروادف ومنشئها يجوز القول ان العرب قد حذوا خذو السريان في تمييز الروادف من اخواتها الحروف الاصلية برسم نقطة فوق كل من الروادف • فالعرب وان فاقوا السريان في معالجة ايجاد

الاصوات الناقصة في حروف الهجاء ودمج الروادف فيها ، الا انهم أخـذوا المبدأ من السريان عندما اقتبسوا منهم الابجدية .

أما في تاريخ بداية الاعجام وعلى يد من وضع في اللغة العربية ، فقد اختلفت الروايات في ذلك . روى القلقشندي[١١٤] عن ابن عباس ان واضع الاعجام هو عامر بن سدرة أحد الثلاثة واضعي الابجدية . وكذلك روى أبو عمرو الداني [١١٥] . وروى أبو الفتح عن يحيى بن أبي كثير ان القرآن كان مجرداً في المصاحف ؛ فأوّل ما أحدثوا فيه النقط على الياء والتاء ، وقالوا : « لا بأس به ، هو نور" له »[١١٦] . وتذهب رواية اخرى الى ان الحجاج بن يوسف الثقفي (ت ٩٥ هـ) عامل عبدالملك بن مروان الخليفة الاموي في العراق سأل نصر بن عاصم الليثي ويحيى بن يعمر العدواني ان يجدوا طريقاً للتمييز بين الحروف المتحدة في الرسم ؛ فوضعا نقط الاعجام ، ووضعا علامات مميزة للحروف المشتركة في الرسم . ورأى يحيى ونصر ان الاعجام يستلزم تغيير ترتيب حروف الابجدية ، فغيّرا الترتيب القديم الى ترتيب جديد ، تتتابع فيه الحروف المتحدة الرسم التي يميّزها النقط عن بعضها[١١٧] . وذكر أبو عمرو الداني ان بعض العلماء علّلوا النقط وقال : اعلموا ان الباء والتاء والثـاء والنون والياء خمسة أحرف متشابهة الصور في الكتابة . فلأجل ذلك احتيج أن يُفرّق بالنقط المختلف بينها . فواخوا بين الباء والنون ، وبين التاء والياء ، فنقطوا الباء واحدة من تحت والنون واحدة من فوق . ونقطوا التاء اثنتين من فوق والياء اثنتين من تحت . وبقيت الثاء منفردة لا أخت لها فنقطوها ثلاثـا من فوق ، اذ خلت من اخت ولم تخل من شبه .

(١١٤) صبح الاعشا ، ج ٣ ، ص ١٢ .
(١١٥) المحكم ، ص ٣٥ .
(١١٦) المصدر السابق ، ص ٣٥ .
(١١٧) عثمان صبري : نحو ابجدية جديدة ، القاهرة ١٩٦٤ .

ثم جاؤوا الى الجيم والحاء والخاء . وهي ثلاثة أحرف متشابهة الصور ، ليس في حروف المعجم ما يشبههنّ . فابتدؤوا بالاولى ، وهي الجيم ، فنقطوها بواحدة من تحت ، واختاروا ان يجعلوا النقطة من تحت لان الجيم مكسورة (أي عند لفظها يكسر أوّلها) . وأخلوا الحاء من النقط فرقا بينها وبين الجيم. وأما الخاء فاختاروا لها النقط من فوق لان اللفظ بالخاء مفتوح .

ثم جاؤوا الى الدال والذال ، وهما حرفان متشابهان . فأخلوا الدال من النقط فرقا بينها وبين لختها ولان ما قبلها منقوط ، ونقطوا الذال واحدة من فوق لان اللفظ بها مفتوح .

ثم فعلوا بالراء والزاي كمافعلوا في الدال والذال .

ثم جاؤوا الى السين والشين ، وهما حرفان متشابهان . فأخلوا السين ، وهو الحرف الاول ، من النقط فرقا بينها وبين اختها ، ونقطوا الشين بثلاث من فوق لانه حرف واحد صورته ثلاثة أحرف . واختاروا النقط لها من فوق ولفظها مكسور لانها من بين الحروف المزدوجة كثيرة النقط ، مخالفة بذلك سائر المنقوط من المزدوج والمنفرد ، الا الثاء فان علتها مخالفة لعلة الشين .

ثم جاؤوا الى الصاد والضاد ، فنقطوا فيهما كما فعلوا في الدال والذال ، اذ العلة فيهما وفي الدال والذال واحدة .

وفعلوا في الطاء والظاء والعين والغين كفعلهم في الدال والذال . والعلة في الكل علة واحدة .

ثم جاؤوا الى الفاء والقاف ، وهما حرفان ، في الانفراد تختلف صورتهما، وفي أول الكلام ووسطه يشتبهان . فاذا وقع أحدهما في آخر كلمة متصلا بما قبله عاد الى صورته في الانفراد . فلما اختلفت صورتهما في موضع واتفقت في موضع ، اختاروا لهما جميعاً النقط . وخولف بين نقطهما ليفرق

به بينهما . فنقطوا الفاء واحدة من فوق ، ونقطوا القاف اثنتين من فوق . وجعلوا نقط الجميع من فوق لان مخرج لفظهما مفتوح(١١٨) . أما سائر الحروف فأخلوها من النقط لانها لا تلتبس بشيءٍ من الحروف .

ورُوي عن الخليل بن احمد الفراهيدي قوله : « الألف ليس عليها شيء من النقط لانها لا تلابسها صورة أخرى . والباء تحتها واحدة ، والتاء فوقها اثنتان والثاء ثلاث ، والجيم تحتها واحدة والخاء فوقها واحدة والذال فوقها واحدة والشين فوقها ثلاث والضاد فوقها واحدة ، والفاء اذا وصلت فوقها واحدة ، واذا انفصلت لم تنقط لانها لا يلابسها شيء من الصور ، والقاف اذا وصلت فتحتها واحدة ، وقد نقطها ناس من فوقها اثنتين ؛ فاذا فصلت لم تُنقط لان صورتها اعظم من صورة الواو ، فاستغنوا بعظم صورتها عن النقط . والكاف لا تنقط لانها اعظم من الدال والذال . واللام لا تنقط لانها لا يشبهها شيء من الحروف . والميم لا تنقط ايضا لانها لا تشبه شيئاً من الحروف ، وقصتها قصة اللام . والنون اذا وصلتها فوقها واحدة، لانها تلتبس بالباء والتاء والثاء ، فاذا فصلت لم تُنقط ، استغنوا بعظم صورتها ، لان صورتها أعظم من الراء والزاي . والواو لا تنقط لانها اصغر من القاف ، فلم تشتبه بشيء من الحروف ، والهاء لا تنقط لانها لا تشبه شيئا من الحروف، وقصتها قصة الواو. ولام الف حرفان قرنا ، فليس واحد منهما ينقط . والياء اذا وصلت نقطت تحتها اثنتين لئلا تلتبس بما مضى ، فاذا فُصلت لم تنقط » (١١٩) .

وروي عن غير الخليل من اللغويين قولهم : « حروف المعجم ثمانية وعشرون حرفاً مختلفة منفردة في التهجي ؛ وهي سواكن . وقد دخل فيها لام الف موصولين ، لانفرادهما في الصورة . وهي اربعة اصناف : صنف منها

(١١٨) المحكم ، ص ٣٧ ــ ٣٨ .
(١١٩) المصدر السابق ، ص ٣٥ ــ ٣٦ .

ستة حروف متباينة ، لا تحتاج الى الفصل بينها وبين غيرها بشيء من النقط : (ا ك ل م و هـ) . وصنف منها سبعة احرف متلابسة مخلاة : (ح د ر س ص ط ع) . وصنف منها احد عشر حرفا متلابسة يُفصل بينها وبين ما قبلها من المتلابسين بالنقط : (ب ت ث ج خ ذ ز ش ض ظ غ) . وصنف منها اربعة احرف تخلى اذا لم يوصل بها شيء ، وتنقط اذا وصل بها غيرها (ف ق ن ي). فجميع ما ينقط منها لالتباسها بغيرها خمسة عشر حرفا ؛ منها ثمانية احرف ، كل حرف منها بنقطة واحدة من فوقها : (خ ذ ز ض ظ غ ف ن) ؛ واثنان بنقطتين من فوقهما : (ت ق) . واثنان بثلاث نقط من فوقهما (ث ش) . واثنان بواحدة من تحتهما : (ب ج) . وحرف واحد بنقطتين من تحته : (ي) [١٢٠] .

يعلل ابو عمرو الداني نقط الباء بواحدة من تحتها ، فيقول : «انما نُقطت بواحدة لأنها اول الصور الثلاث ، وان التاء ثانيتها والثاء ثالثتها . ولذلك نُقطت التاء اثنتين والثاء ثلاثا . وانما نقطت من تحتها للزوم الكسر لها اذا كانت زائدة جارة كالتي في اول التسمية . وانما لزمها الكسر اتباعا لعملها ، اذ كانت لا تعمل الا جرّاً ، فجُعل نقطها موافقا لحركتها . وألزم النقط والحركة مكاناً واحداً من الباء وهو تحتها[١٢١] .

ومما سبق يظهر انه كان في عهد ابي عمرو الداني اختلاف في نقط حرفي الفاء والقاف . فيقول ابو عمرو : « اهل المشرق ينقطون الفاء بواحدة من فوقها والقاف باثنتين من فوقها . واهل المغرب ينقطون الفاء بواحدة من تحتها والقاف بواحدة من فوقها . وكلهم اراد الفرق بينهما بذلك »[١٢٢] . فاندثر نقط اهل

(١٢٠) المصدر السابق ، ص ٣٦ ــ ٣٧ .
(١٢١) المصدر السابق ، ص ٣٧ .
(١٢٢) المصدر السابق ٤٠ ــ ٤١ .

المغرب . وبقي نقط اهل المشرق . ويلاحظ القارىء ايضاً مما سبق انه كان في عهد وضع الاعجام اربعة احرف تنقط اذا وصل بها غيرها ، وتخلى اذا لم يوصل بها شيء (ف ق ن ي) اما اليوم فلزيادة الايضاح تنقط حيثما وقعت في الكلام.

ومن كل ما تقدم عن الاعجام يلاحظ المرء أيضا ان الحروف متشابهة الصور ، ان كانا اثنين أُخلي الاول من النقط ونُقط الثاني بواحدة من فوق ، ما عدا الشين الذي نقط بثلاث لانه ، كما علل ذلك ابو عمرو الداني ، له صورة ثلاثة احرف . وان كانت ثلاثة كما في الجيم والحاء والخاء ، أخلي احدها ونقط احدها واحدة من فوقه والآخر واحدة من تحته . وان زادت عن ثلاثة مثل الباء والتاء والثاء والنون والياء ، نقط بعضها من فوق وبعضها من تحت بواحدة او اثنتين او ثلاث ، ويلاحظ انه لم يُخل احد هذه الاحرف الخمسة . هذا حسب رأينا لان صورة هذه الحروف صغيرة ومشابهة لسن حرفي الصاد والضاد . فان أُخلي أحدها يلتبس مع سن هذين الحرفين . ومن الجدير بالذكر ان من بين ثمانية وعشرين حرفا المكون منها الهجاء العربي ستة ليس لها صوت في الابجدية الاولى وهي (ث خ ذ ص ظ غ) ، وقد اطلق عليها العرب اسم الروادف . فقد الحقوا كل واحد منها بحرف من الابجدية يشبهه صورة وصوتا وهي (ت ح د ص ط ع) . فاخلوا الحروف الاصلية الستة من النقط ، ونقطوا الروادف واحدة من فوقها . وهذا ما صنعه السريان من قبل .

يلاحظ القارىء ان علماء اللغة العربية قد برعوا في ازالة الالتباس الحاصل في لغتهم بسبب تشابه صور الحروف . فان حروف الهجاء ثمانية وعشرون ، ما عدا لام ألف ، منها اثنان وعشرون متلابسة . وستة فقط متباينة لا تحتاج الى الفصل بينها وبين غيرها . لذلك فاللغة العربية اكثر اللغات السامية التباساً في حروفها . الا ان اللغويين العرب نسقوا نقط الحروف المتلابسة بطريقة واضحة وافية بحيث تسهل قراءتها لادنى مبتدىء في تعلمها .

تناولنا بالبحث في هذه الحلقة اصوات الحركات او اصوات المدّ الطويلة والقصيرة لدى العرب • فكانت حروف العلة الثلاثة وما تزال للتعبير عن المدّ الطويل • ومعها ثلاث حركات قصيرة ، اي الشكل ، الفتح والكسر والضم • ومع ذلك كان للعرب حركات اخرى قريبة منها من ضمنها الامالة والتفخيم والاشمام والروم • ثم تطرقنا الى تبادل الحركات الطويلة والقصيرة فيما بينها، لاسيما في القرآن الكريم • بعدئذ بحثنا نشوء الشكل • وكان اول الأمر على هيئة نقط بمداد يخالف لون الكتابة ثم اكتمل باختراع الفتحة والكسرة والضمة على هيئة حروف العلة مصغرة • واخيرا بحثنا نشوء الاعجام الذي لايزال قيد الاستعمال الى اليوم •

وفي حلقة لاحقة تتناول بالبحث اجزاء الكلام في اللغتين الشقيقتين العربية والسريانية •

(للبحث صلة)

المصـادر

القرآن الكريم .
ابن النديم ، الفهرست ، طهران ١٩٧١ .
ابو بشر عمرو سيبويه ، الكتاب ، ج ٢ ، مصر ١٣١٦ هـ .
ابو البقاء بن يعيش ، شرح مفصل الزمخشري ، باعتناء ج. جاهن ، لايبزج ١٨٧٦ — ١٨٨٦ .
ابو حاتم الرازي ، كتاب الزينة في الكلمات العربيةا لاسلامية ، ج ١ ، تحقيق حسين بن فيض الله الهمذاني اليعبري ، مصر ١٩٥٧ .
ابو عمر عثمان الداني ، المحكم في نقط المصاحف ؛ تحقيق الدكتور عزة حسن ، دمشق ١٩٦٠ .
ابو عمرو عثمان الداني ، المقنع في معرفة رسوم مصاحف اهل الامصار مع كتاب النقط ، تحقيق محمد احمد دهمان ؛ دمشق ١٩٤٠ .
ابو الفتح عثمان بن جني ؛ سر صناعة الاعراب ، ج ١ ، تحقيق مصطفى السقا ، مصر ١٩٥٤ .
ابو الفتح عثمان بن جني ، كتاب الخصائص ، تحقيق محمد علي النجار ، القاهرة ١٩٥٢ .
ابو محمد مكي القيسي ، كتاب الرعاية لتجويد القرآن وتحقيق التلاوة ، تحقيق احمد حسن فرحات ، دمشق ١٩٧٣ .
ابو منصور الازهري ، تهذيب اللغة ؛ ج ١ .
اثير الدين بن حيان الاندلسي الغرناطي ، البحر المحيط ، ج ٦ ، الرياض الشيخ احمد رضا ، رسالة الخط ؛ صيدا ١٩١٢ .
الدكتور احمد مختار عمر ، دراسة الصوت اللغوي ، القاهرة ١٩٧٦ .
الدكتور تمام حسان ، اللغة العربية معناها ومبناها ؛ القاهرة ١٩٧٠ .
جان كنتينو ، دروس في علم أصوات العربية ، ترجمة صالح القرمادي ؛ تونس ١٩٦٦ .
ج. برجستراسي ، التطور اللغوي ، القاهرة ١٩٦٦ .
الحافظ ابو الخير الدمشقي ابن الجزري ؛ النشر في القراءات العشر ، ج ٢ ، باعتناء علي بن محمد الضباع ، مصر .
الخليل بن احمد الفراهيدي ، كتاب العين ؛ ج ١ ؛ تحقيق عبدالله درويش ؛ بغداد ١٩٦٧ .
رضي‌الدين الاسترابادي ، شرح شافية ابن الحاجب ؛ تحقيق محمد نورالحسن ؛ ج ٣ .

زاكية محمد رشدي ، السريانية نحوها وصرفها ، القاهرة .
شهاب الدين القسطلاني ، لطائف الاشارات لفنون القراءات ، ج ١ ؛ تحقيق عامر السيد عثمان والدكتور عبدالصمد شاهين ، القاهرة ١٩٧٢ .
عثمان صبري ، نحو ابجدية جديدة ، القاهرة ١٩٦٤ .
الدكتور غالب فاضل المطلبي ، في الاصوات اللغوية ، دراسة في أصوات المد العربية ، بغداد ١٩٨٤ .
فخر الدين الرازي ، التفسير الكبير ، القاهرة ١٩٣٥ .
كارل بروكلمان ، فقه اللغات السامية ، ترجمة الدكتور رمضان عبدالتواب ، الرياض ١٩٧٧ .
محمد الانطاكي ، المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها ، ج ١ ، بيروت ١٩٧٢ .
محمد طاهر الخطاط ، تاريخ الخط العربي ، القاهرة ١٩٣٩ .
محمد مرتضى الزبيدي ، تاج العروس من جواهر القاموس ، ج ٨ ، بيروت .
ناصر النقشبندي ، المصاحف الكريمة في صدر الاسلام ، مجلة سومر ، ج ١ ـ ٢ ، م ١٢ ، ١٩٥٦ .
مجلة المجمع العلمي العراقي ، مجلد هيئة اللغة السريانية ، م ٨ ، ١٩٨٤ .
مجلة مجمع اللغة السريانية ، م ٤ ، ١٩٧٩ .

D. DIRINGER, Writing, London, 1962.

T. TAYLOR, The Alphabet, 2 vol. , London, 1883.